# كتب أخبار ملوك اليمن

اذا كان كتاب التيجان لوهب بن منبه يعتبر صورة من صور عصر التجميع بما فيه من تدوين لما عرف العرب عن ملوك اليمن من قصص وأساطير ، قاصدا فيها المؤلف قصدا الى الاشارةالى المدلول الانسانى العام لهذه القصص والأساطير ، وواضعا ايدينا علي الدلالات الدرامية التى تشكل موقف الانسان العربى من القوى المسيرة له والمتحكمة فى مصيره ومستقبله .. فكتاب أخبار ملوك اليمن لعبيد بن شرية الجرهمى يرسم صورة أخرى من صور هذا العصر .. قد تتفق مع الصورة الأولى فىالاهتمام بايراد قصص الأولين وأساطير ملوك اليمن ، ولكنها تختلف معها من حيث الهدف والدلالة ، كما تختلف معها من حيث الأهمية والنوع .

فالقصد من هذا الكتاب الذى أحب أن أعرضه عليك كنموذج يمثل التيار الثانى فى عصر التجميع ليس الحكاية فى ذاتها ، كما أن القصد منه كذلك ليس ايفاء القصة حقها من حيث دلالتها الانسانية ، وانما القصد من هذا الكتاب شىء آخر .. يمكننا ان نسميه العظة والعبرة ، ويمكننا أن نسميه التربية والتهذيب اللذين تعتمد عليهما القصة .. وهو بهذا يكاد يكون

أقرب الصور الى ما سمى بالقصص فى هذا العصر .. والقصص فى عصر صدر الاسلام ثم فى العصر الأموى لم يكن يقصد لذاته ، فأنت تعلم أن الدولة كانت تهتم به اهتماما كبيرا بل كانت تعين القصاص كما تعين القضاة ، ولعلهـــا كانت تعين القصاص من القضاة .. وقد حملت كتب الأدب أسماء القصاصين فى كل بلد اسلامى فنرى أسماء الحسن البصرى وســـعيد بن الحسن ، والأسود بن سريع ومسلم بن جندب..بل نرى من سمات أصحاب الفضل أن يعرفوا القصص فيقول الجاحظ فى بيانه وتبيينه أن ابا بكر الهذلى فى منتصف القرن الأول كان خطيبا قاصا عالما بالأخبار والآثار .

فى ضوء هذه الشواهد نحس أن للقصص مدلولا معينـــا تفهمه به الدولة ويفهمه به الناس .. هذا المدلول هو ما يمكننا أن نقول أن كتاب عبيد بن شرية هذا يعبر عنه .. وهو مدلول يرسم ما حدث بعد هذا من تداخل بين القصص والتفسير .. فالقصص اداة دينية من أدوات التوجيه والوعظ ، والقصص اداة تفسيرية لشرح ما غمض فهمه عن طريق الحكاية والرواية .. ويقول صاحب الاتقان فى ذكر العلوم المستنبطة من القرآن .. « وتلمحت طائفة ما فيـــه من قصص القرون الســالفـــة والأمم الخالية ، ونقلوا أخبارهم ودونوا آثارهم ووقائعهم ، حتى ذكروا بدء الدنيا وأول الأشياء ، وسموا ذلك بالتاريخ والقصص » .

فهذا النوع من القصص اذن يتعرض لحكايات الأمم السالفة ، ولا لقيمة هذه الحكايات فى حد ذاتها ، وانما اهميتها فيما لها من قيمة

فى تثبيت المعانى الجديدة ، ولما لها من قيمة فى تأكيد دلالات القصص القرآنى والخلق القرآنى .

وعبيد يقول فى أول كتابه مخاطبا معاوية : « يا أمير المؤمنين ، لك فى غير هذا الحديث مايقصر ليلك وتلذ به فى نهارك، فان فيه ما تهوى وما لا تهوى ، ومغضبة وشغفا للملوك ونعش مودة » .

هذا الاحتراس من عبيد معناه أنه يعلم أن فى دلالات قصصه ما قد يزعج ملكا عريض الملك قوى السلطان ، من تذكرة بنهاية الطغاة ، ونهى عن الاسراف فى المتعة ، وما شابه ذلك .. ولهذا كان من الطبيعى أن يؤمنه معاوية من غضبه وسخطه فيقول له : « عزمت عليك الا اتبعت هواى وحدثتنى ما علمت مما أسألك عنه ، فأنت فى جوار الله وذمته ، وأمان منى ومن غضبى ونعش مودتى » .

وهكذا يبرر لك الكتاب أن تلقى هذه الأحاديث على مسامع معاوية . الا أن هناك نقطة أخرى تحتاج الى تبرير ، تلك هى موقف عبيد بن شرية نفسه من الذين يحكى عنهم .. فهو يمنى له تاريخه الذى يدين له بالعصبية وله أنبياؤه الذين يعرف لهم الولاء .. وهكذا يأتى سؤال معاوية يحاول أن يستوضح هذه النقطة ، أعنى موقف عبيد بين عرب الجنوب وعرب الشمال .

يقول معاوية : أخبرنى عنك ، مالك ، اذا ذكرت ابراهيم لم تملك أن تصلى عليه .. وقد ذكرت والدكم هودا نبى الله فلم

تصل عليه وهو نبى الله . ! » ويأتى رد عبيد موضحا موقفه تماما اذ يقول : « يا أمير المؤمنين : والله لهو احب الى من ابى الذى حملنى فى صلبه ، واحب الى من امى التى ارضعتنى.. ولا اعدل بخليل الرحمن احدا ، ولا محمدا صلى الله عليه وآله وسلم، ولا هود صلى الله عليه وعلى جميع الانبياء » ، وهكذا تحدد موقف عبيد فيقول معاوية : « انك لمنصف فخذ فى حديثك يرحمك الله » .

فانت تعلم اننا فى هذا العصر قريبون جدا من العصر الجاهلى بما فيه من عصبيات ، وهذا يبرر الى حد كبير سؤال معاوية ومحاولته تحديد موقف عبيد ، فالمقصود بالقصص كما قلنا عظة اسلامية لا نعرات جاهلية .. الا ان هذه النعرات تطل برأسها رغم كل هذا التأكيد والتحديد فترى عبيدا يقول : « حتى كان اسماعيل ونقله ابوه ابراهيم صلى الله عليه وسلم من بلاده ، فانزله بمكة .. فكنا نحن جرهم اهل البلد الحرام ، فنشأ اسماعيل فينا ، وتكلم بكلام العربية وتزوج منا .. فجميع ولد اسماعيل من بنت مضاض بن عمرو الجرهمى..واسماعيل وابوه منا ، وانتم يا قريش منا ، والعرب بعضها من بعض .. الم تعلموا انكم من ولد اسماعيل بن ابراهيم صلى الله عليه وسلم، وابراهيم نحن ولدناه وابوه آزر واسمه تارخ بن ناحور بن ارغو ابن شارخ بن فالغ بن عابر ، وهو هود فهو ابونا وابوكم ، فنحن ولدناكم وانتم منا ونحن منكم قليل فى كثير » .

هكذا تطل هذه العصبية التى خشيها معاوية فيؤكد عبيد أن

اهله وقومه هم الأصل ، اليهم يعود جميع العرب .. ويصيح معاوية محذرا : « كأنك تحدث عن حديث الجاهلية » .. فيقول عبيد وكأنما معتذرا : « يا أمير المؤمنين لك فى الاسلام ما يغنيك عن ذلك فقد محق الاسلام ما كان قبله كما محق الشمس ضوء القمر » .

وما نكاد نصل الى آخر الكتاب حتى نلمح صـــورة أخرى من صور هذه العصبية ، فبينما عبيد يروى من شعر ملوك حمير ما يشيدون فيه بذكر ملكهم وعظمة أمرهم ، نرى معاوية كالمحتج فيقول له عبيد : « يا أمير المؤمنين انك لتكلفنى أقوال أقوام قد ذهبوا كانوا ملوكا .. فاذا قالوا صغروا غيرهم لقدرتهم وعظمتهم» فيقـــول معـــاوية مدفوعا بعصـــبيته : « يا عبيـــد قـــد غابه ذلك عنا ، فقل : ان تكن حمير ملكت كما ذكرت فقد أورثنا الله ذلك من ملكهم فهو لنا اليوم قد انتزعه الله بنبيه محمد صلى الله عليه وآله وسلم ، وهو منا ، فنحن أسرته وخير الناس بعده ، ولولاه لم نكن شيئا ، وجعل حميرا لنا والحمد لله الذى أكرمنا بنبيه وأورثنا أرض أعدائه الجبابرة العتـــاه » . وكأنما نفست هذه الكلمات عن معاوية ففثأت غضبه وأرضت عصبيته فيعود ليقول « قل غير متق شيئا ولا سائب أحدا فأنت فى ذمتى وجوارى والله لك على بذلك شاهد » .

وهذا يدل أول الأمر على قرب وقوع قصة المسامرات هذه من عهد الجاهلية فلا بأس اذن ان كانت فى عصر معاوية ، ولا بأس فى تصديق صحة نسبة الكتاب لعبيـــد بن شرية ، والى

مسامرات معاوية .. وهذا يدل ثانيا على ما يحسه الكاتب من حرج لا يقع فيه من يقص القصة لذاتها وانما يقع فيه من يقص القصة لهدف يخشى أن تعلق شبهة بحسن نيته فى القصد اليه والاتجاه بحكايته نحوه .. وهذا يعنى أن هذه القصص كما قلنا انما أريد بها خدمة الدعوة الدينية أولا وقبل كل شىء .

ويدخل فى هذا ما يتعلق بثقافة القاص .. فبعد أن تحدد موقف القاص البعيد عن العصبية ما أمكن ، يحدد الكتاب ثقافته الاسلامية وحرصه على موافقة القرآن الكريم ومعرفته بما جاء به .. فمعاوية يسأل عبيد حين حدثه عن بلقيس اذ يرى ما فى كلامه من موافقة لقصة القرآن الكريم : « صدقت ، فهل قرأت القرآن » . فيأتى رد عبيد حاسما حين يقول : « والله يا أمير المؤمنين ما حفظته الا فى شهر واحد » .. وحين يمضى بعبيد الحديث فى قصة بلقيس وسليمان يلحظ معاوية أنه يسرد القصة مطابقة تماما لما جاء بالقرآن ، بل ان عبيدا يستعير آيات القرآن الكريم فى سرد قصته فيسأله معاوية : « لم تقرأ القرآن لهذا الحديث .. الا تأتى بالحديث الذى بلغك ؟ » فيقول عبيد : « يا أمير المؤمنين القرآن أصدق أم الحديث ؟ ولو لم يكن هذا فى كتاب الله لكان الحديث عندى ثقة » فعبيد يعلن فى صراحة أنه يلتزم النص القرآنى ما وجد هذا النص ، فان كانت قصته التى يحكيها لم ترد فى القرآن فهو يوردها عن ثقة واطمئنان الى مصادره الأخرى .. وحين يسأل معاوية عبيدا عما جاء فى خطاب سليمان الى بلقيس وقومها قال عبيد : « قد قلت لك يا أمير

المؤمنين انى لا انطق بشىء ليس بيانه فى القرآن وقول الله أصدق، ثم يورد عبيد نص آية تكمل ما بداه من حديث .

والأمر ليس أمر قراءة للقرآن ، ومعرفة به فحسب ، ولكنه أمر معرفة بتفسيراته ومرامى آياته ومعانيها .. فعبيد يذكر آية من القرآن الكريم ، ويسأل معاوية عن معنى كلمة ، فيفسرها عبيد . فيسأل معاوية : « وما يدريك ان هذا كذلك ؟ قال عبيد : « سمعت ابن عباس يا أمير المؤمنين يذكر ذلك » ويقول عبيد مؤكدا معلوماته : « وسألته عن القرآن أيضا فما يفسر من الظاهر شيئا الا أنا أعرفه واعلمه » قال معاوية : « أوله باطن ؟ » فيرد عبيد : «كذلك سمعت ابن عباس يذكر» فيقول معاوية كالمتعجب: « ما تركت شيئا يا أخا جرهم الا وقد دخلت فيه وطلبت علمه»، ويقول عبيد : « نعم يا أمير المؤمنين ، القرآن أحق ما دخلت فيه وطلبت علمه » ، فعبيد اذن قرأ القرآن وفهمه ، وطلب العلم بتفسيره وتأويله وتعلم من ذلك ما وسعه . فهو قد أخذ هذا العلم عن عبد الله بن عباس الذى اعتمد عليه فى كل ما له علاقة بتفسير ما جاء بالقرآن ، وهو يقول لمعاوية « سمعت ابن عمك يقول » وهو يقصد ابن عباس وهو كما ترى يصرح فى وضوح أنه أخذ عليه التفسير وتعلم منه كل ما يستطيع .. ويصل به التحرج فى ذكر القصص الذى ورد فى القرآن حدا يقول فيه «لست بمحدث بشىء ليس فى القرآن ، ولست بواصف خبرا بلغنى بعد ما قال الله تبارك وتعالى » .. وقوله هذا يدل على التحرج

المتدين من ناحية ، ويدل على هدفه ورسالته فى سرد القصة من ناحية أخرى ..

ويتصل بهذا اتصالا مباشرا طريقته فى سرد القصص ، فهو يعتمد اعتمادا أساسيا على آى الذكر الحكيم ، بل يبلغ به الأمر حد اقتباس الآيات بنصها وايرادها فى معرض حديثه لتكمل السرد .. فنرى فى حكايته عن عاد حديثا يسوقه على لسان جارية يقال لها مهد ، ناحت بعد هلاكهم ، تقول حكاية عبيد « ويقال يا معاوية انها أول نائحة ناحت فى الأرض . فقال لها قومها : ويحك ماذا ترين ؟ وماذا دهاك ؟ قالت : الويل لعاد التى طغت فى البلاد فأكثروا فيها الفساد » وتتضح هذه الظاهرة فى قصة بلقيس وسليمان ، كما تتضح فى قصة ثمود ونبيهم صالح ، اذ تكاد تكون تفسيرا للقصص القرآنى ، بل ان هذه القصة باتذات تسير فى سردها مع آيات القرآن الكريم خطوة خطوة .

ويدخل فى هذا أيضا موقف عبيد من شخوص قصصه وحوادثها .. فالناس عنده قسمان : مسلمون وكفار .. وكل من آمن بالله منذ فجر التاريخ فهو مسلم ، وكل من خالف هذا الايمان فهو كافر .. يتساوى فى هذا عنده اتباع ابراهيم واتباع هود ، اذ يقول فى معرض حديثه : « واسلم مع هود منهم نفر يسير لا يبلغون اربعين رجلا ، واسلم رجل من أشرافهم وساداتهم وذوى أحسابهم وهو رأس الوفود وصاحب البر والتقوى » .. وهذه فى الواقع صفات المسلمين عنده ، وهى صفات المؤمنين الذين ينجون دائما من كل عذاب ، فعند هلاك عاد الذين سلطت

عليهم الريح يقول عبيد : « ولم تترك منهم احدا الا هزيلة انعملقية وبنيها وهى امراة ابى سعيد المؤمن ، فان الله نجاهم من العذاب بايمان اصحابهم ، وأمر الله سبحانه وتعالى الريح فحملتهم برفق وشفقة هى وولدها ولم تؤذهم ولم تضرهم حتى اتت بهم مكة » .

ويستغرقه هذا التصور للمؤمنين مع كل الأنبياء حتى نراه يقول عن آصف بن برخيا وزير النبى سليمان : « فانطلق آصف وتوضأ ثم صلى ركعتين ثم دعا بالاسم الأعظم » .. والصلاة هنا ليست دعاء ، وانما هى صلاة اسلامية يسبقها وضوء . وهذا الاختلاط يتناول فى واقع الأمر كل الأديان التى عرفتها الجزيرة سواء كانت كتابية ام لا .. والملوك الحميريون انما يفتحون البلاد ليقضوا على الكفر والكفار ، فهو يقول فى سبب خروج شمر يرعش من اليمن « ان ملكا من ملوك بابل تجبر وبنى صرحا للرقى فيه الى السماء ، كما فعل فرعون وهامان ، فمضى اليه شمر بجنوده فحاربه وظفر به » .. بل ان حماس عبيد يجعله يحاول أن يبرر بعض ما تعارف الناس عليه من روايات تنسب الشر لبعض المؤمنين ، كما جاء فى حديثه عن آصف بن برخيا وزير سليمان ، اذ يذكر انه تعلم اسم الله الأعظم ، فيقول معاوية : « هبلتك الهبول يا عبيد ، أو كان آصف يعلم ماتقول ، والسحر اليوم نسبته الى علمه وهو الذى كان وضعه ؟ » فيسرع عبيد قائلا : « ان الشيطان الذى احتل مكان النبى سليمان خدع آصف والناس أجمعين .. » يقول عبيد : « فيذكر

يا أمير المؤمنين أن ذلك الشيطان أمر بسحر فكتب ثم دفن تحت كرسى سليمان بن داود واسنده ذلك الشيطان الى آصف بن برخيا ، ثم اخرجه للناس ،فلما رجع سليمان الى ملكه ورد الله نعمته وكرامته ، لم يلبث الا قليلا حتى قبضه الله اليه ، ولج المجرمون باستعمال ذلك الكتاب وتصديقه .. »

ودفاعه هذا عن آصف انما يحاول به أن ينفى أن يكون السحر — وهو شر — من صنع أحد المؤمنين ، بل من صنع وزير هو تابع وصفى النبى سليمان بن داود .. وشبيه بهذا دفاعه عن الأوس والخزرج وعلاقتهم باليهود فى المدينة ، اذ يقول معاوية : « لقد بلغنى يا عبيد أن اليهود كانوا بها ما كان الخزرج معهم فيها أمر ، حتى ان الرجل يتزوج الامراة فما يصلها حتى يبدا بها رجل من اليهود وكانوا غلبوهم على أمرهم .. » فينبرى له عبيد قائلا : « معاذ الله يا أمير المؤمنين لقد بلغك ما لم يكن . ولقد كانت اليهود بها أذلاء فكانت الأوس والخزرج أمنع من ذلك واشد ، ولقد أخرجتهم الأوس والخزرج من المدينة حتى سكنوا خيبر ، وما كانت امراة من الخزرج يقدر عليها رجل من اليهود أبدا .. »

فهو فى حديثه كما ترى يحاول أن يصحح بعض القضايا الكاذبة والأخبار التى تتناول كرامة المسلمين من القوم فهو يدافع عنها وينكر كل ما يعلق بها مما يشين ويكدر .. وموقفه كما ترى موقف واضح يميل بكل ثقله لتعطى أحداث التاريخ لونا

باهرا زاهرا لكفاح المؤمنين والمسلمين وموضعهم بين الشعوب قبل الاسلام وبعده ..

ويدخل فى تحديد هذا الموقف ما جاء بالكثير من قصصه من تبشير بدعوة محمد عليه السلام ، وتنبىء بظهوره ودعوته .. فهو يقول عن سليمان : « ثم ان سليمان سار فى أرض العرب فمر بموضع المدينة فأمر الرياح فوقفت ثم أعلم أصحابه أن هذا المكان مهاجر نبى يخرج فى آخر الزمان من العرب اسمه أحمد وهو خاتم النبيين صلى الله عليه وسلم » وتعود هذه النبوءة مرة أخرى على لسان حبر من اليهود فى عهد تبع الأوسط حين حاول هدم المدينة .. يقول عبيد : « وهم بخراب المدينة فقام اليه رجل من اليهود يقال له كعب بن عمرو وقد أتى عليه من عمره مائتان وستون سنة فقال له : أيها الملك لا تقبل على الغضب ، وامرك أعظم أن يطير بك النـزق أو يمسك فى قلبك الحاح ، وتنزع الى مالا يجمل بك ، وانك لا تستطيع أن تخرب هـذه القرية .. قال : ولم ذلك فقال : لأنها مهاجر نبى يخـرج من هذه البنية — يعنى مكة — وهو من ولد اسماعيل بن ابراهيم خليل الله .. قال تبع : ومتى يـكون ذلك ؟ قال ، بعد زمانك بدهر طويل فلما سمع كلامه سكن وكف عن خرابها . » بل هو لا ينهى قصته عن تبع الأوسط هذا الا ويورد على لسانه شعرا فى ذكر خروج النبى صلى الله عليه وسلم يقول فيه :

شـهدت على أحمـد انـه ... رسـول من الله بارى النسم
لـه أمة سـميت فى الزبور ... بأمة أحمـد خـير الأمم
فلو مد دهـرى الى دهـره ... لـكنت وزيرا لـه وابن عم

فالقصص اذن عمل وعظى يعطينا صورة واضحة عن معنى القصص الدينى الذى انتشر فى هذه المرحلة انتشارا كبيرا ورعته الدولة وشـــجعته ..

وثمة ظاهرة مهمة تلفت النظر فى هذا الكتاب الذى هو عبارة عن مسامرات فى مجالس معاوية ، هى أن معاوية لا يقف وقفة المتفرج أو المستمع انما هـو يناقش ويسأل ويطالب بين الحين والحين بالبرهان والدليل .. فحينما يذكر عبيد عن عاد ما أصابهم من قحط ثم يقول « واجمعوا على المســير الى بيت الله الحرام يستسقون الغيث » يقول معاوية مجادلا « لله أنت يا عبيد وكيف كانوا يطمعون أن الله يستجيب لهم وهم مقيمــون على الشرك بالله وعبادة الأصنام » ويرد عبيــد قائلا « كان الناس فى ذلك الزمان العرب وغيرهم من المشركين اذا نزل بهم فادحة أو نابهم نائبة أو أجهدهم قحط أو غيره فزعوا الى الله فيأتوا الى البلد الحرام يطلبون من الله الفرج فيعطون مسائلهم ويعرفون من الله الاستجابة عند بيته الحــرام ، فيجتمع بمكة بشر كثــير مختلفة اديانهم يطلبون من الله حوائجهم ، كلهم عارف بمكة وحرمها ، فلا يبرحون حتى يعطى السائل سؤله مما سأل .. قال معاوية: فهل كان فى ذلك الوقت يعرف موضعه ؟ .. قال عبيد : نعم يا معاوية » وسمة الحوار تغلب على أجزاء كثيرة من الكتاب . ولكنه حوار انسانى يعرف مايسمع من أمر، فأنت تلمح منمعاوية هذه العبارة كثيرا تعقيبا على حقيقة يحكيها عبيد «وكذلكبلغنى» فما نكاد نصل الى آخر الكتاب حتى نرى معاوية يقول لعبيد :

« لله درك يا عبيد ، انك لتحدثنى عجبا ، ما شفانى عنهم ( يعنى ملوك حمير ) وعن اخبارهم وما كان منهم احد غيرك..» فمعاوية اذن لديه علم ما يقول عبيد سمعه من غيره من قبل . فهو حين يناقش انما يعترض على بعض ما يخالف ما سبق له ان عرف من روايات الرواة الآخرين .

وقد قال المسعودى فى مروج الذهب : « كان لمعاوية بن ابى سفيان ساعات من كل يوم يقعد فيها فيحضر غلمانه الدفاتر فيها سير الملوك واخبارها والحروب والمكائد فيقرأ ذلك عليه غلمان مرتبون . » فالحديث الذى يقصه عبيد يعرض على ناقد بصير لا يتلقاه منه مسلما ، انما هو يعترض دائما سائلا أو منكرا او مستزيدا او مناقشا .حتى اننا نرى معاوية يعترض علىرواية قصيرة يحكيها عبيد على لسان الرائش فيقول معاوية : « يا عبيد ما كنا نظن هذا الشعر الا لذى نواس . » قال عبيد : « يا امير المؤمنين قرب هذا وبعد الآخر ،وكان اسم هذا أهون على الرواة، فأما القول فوالذى بعث محمدا لقد رويت هذا الشعر وان ذا نواس لغلام » .. فالسامع اذن يريد من الراوى أن يحقق كل ما يقول ، وأن لايتعارض مع الرواة السابقين، فان تعارض فعين معاوية النافذة الناقدة تعرف وجه التناقض ومكانه . وبصيرته الواعية تريد له تفسيرا .

وانا احب ان اسوق كل هذه المناقشات لارد بها على ما استنتجه الدكتور حسين نصار من أن الكتاب لم يكن مجالس حقيقية وانما مؤلف على صورة المجالس .. اذ يخرج الدكتور

نصار بأن الكتاب من جمع ابن هشام وانه عمل فيه ما عمل فى سيرة ابن اسحاق .. كما نرد به على ما ذهب اليه الأستاذ كرنكو من أن عبيدا شخص خيالى لا وجود له ، وأن الكتاب من تاليف ابن هشام أو البرقى او محمد ابن اسحاق مكملا به المؤلف ما ينقص كتاب وهب بن منبه من اخبار .

ونحن بادىء ذى بدء قد ذكرنا أن هناك اختلافا فى الهدف بين الكتابين ، فبينما وهب يتقصى قصصه بهدف ابرازها ، وتوضيح ما تحمل من مضامين انسانية عامة ، متتبعا التسلسل التاريخى وبادئا من خلق العالم الى سيف بن ذى يزن آخر ملوك بنى حمير..نرى عبيدا يقصد قصدا الى العظة والعبرة ، ويحتذى القرآن الكريم خطوة خطوة ، ويعنى بالدلالات الاسلامية دون غيرها .

فالهدف مختلف فى الكتابين ، بل ان كلا منهما يمثل اتجاها بذاته من اتجاهات عصر التجميع . كذلك كشفنا لك عما فى مجالس معاوية وعبيد من مناقشات سببها عقلى مرة ، وهو اختلاف ما يرويه عبيد عما يعرفه معاوية . وسببها نفسى مرة ، وهو العصبية التى تطل برأسها حينا عند عبيد فيردها معاوية ، وحينا عند معاوية نفسه مما يكسب المجالس صدقا وحرارة لا تأتى لمن يؤلف المجالس تاليفا .

والذى دعا الدكتور حسين نصار والأستاذ كرنكو الى هذا الفرض وجود اخبار مروية عن البخترى عن محمد بن اسحاق ،

أو عن الشعبى أو غيره . .والواقع أننا نضطر هنا الى أن نقول ما قلناه فى كتاب وهب من أنه كتب مرتين ، مرة حين رواه عبيد والأخرى حين أعيدت صياغته على يد غيره . والواقع أن الأمر فى كتاب عبيد أسهل . فالذى أعاد تأليف كتاب عبيد كان حريصا حين يضيف شيئا من عنده أن يسنده الى من أخذ عنه ، فهو يصرح فى صفحة ٣٧٨ من طبعة حيدر أباد قائلا : « وذكر محمد بن اسحاق فى غير حديث عبيد بن شريه » وهذا معناه انه يلفت النظر الى أنه يستطرد ويخرج عن الكتاب الأصلى فيورد خبرا جديدا يسنده هنا الى ابن اسحق .. ويستمر فى سرده للخبر حتى ينتهى منه فيقول : « ثم رجع الحديث الى عبيد » وهو حين يأخذ من كتاب وهب يقول فى صفحة ٣٧٩ « وفى حديث وهب بن منبه أن .. » ثم يعود بعد ذكر ما أخذ من وهب يقول « ثم يرجع الحديث الى عبيد » فقوله فى غير رواية عبيد أو فى غير حديث عبيد تفتح الأذهان فى الحال الى موضع الاضافة ، بينما تشير عبارة رجع الحديث الى عبيد الى عودة اتصال الحديث الى الكتاب الأصلى ..

وكأنما المؤلف يحترز الاحتراز الذى رأيناه عند معاوية فهو حين يلمح نقصا فى رواية عبيد يكملها من مصادرها . والواقع أن المتتبع لهذه الاضافات يرى أنها امتداد لقصة عبيد حدثت بعد موته كالرواية التى ذكرت عن سمرقند وما كتبه أحد ملوك حمير على حجر عندها ، اذ يقول معاوية بعد أن يسمع حديث عبيد « اللهم أرنا تصديق قول ابن شريه فانه يذكر عجبا ، وان شاء ربى فعل ذلك » اذ تستمر الرواية هكذا « فبلغنى عن

الشعبى انه ذكر عن رجل من خيوان همدان .. » الى آخر الحديث الذى يؤكد صحة ما قاله عبيد .. والاضافة كما ترى تكملة من عند المؤلف الجديد.. وبعض الاضافات التى نسبت الى وهب تحقيق للأساطير التى يرويها عبيد أما التى رويت عن ابن اسحق فمعظمها اسلامى متأخر ..

فالكتاب اذن صور قلمية لمجالس حقيقية ، وما جاء فيها كالتأليف المقصود اليه هو من وضع ابن هشام واضافته لاكمال الكتاب وضبط ما به من تناقض مع ما حفظه الرواة السابقون لعبيد بن شريه .

وكتاب عبيد يمتاز بكثرة ما أورده من شعر ، وقد كان معاوية يطلب الشعر أن اغفله عبيد حتى لنرى تاريخ ملوك اليمن بأسره يأتى على لسان ملوكها شعرا ، ومهما كان الأمر فى هذا الشعر فهو موضوع لا شك ، الا انه بوصفه هذا يعتبر تدوينا شعريا لهذا التاريخ ، حتى اننا نرى فى تاريخ تبع الأوسط ذخيرة شعرية ضخمة تحكى كل أحداث حياته مما يحتاج الى جمع ودراسة، عله يكون فى مجموعة ملحمة شعرية ترد على أصحاب الرأى الذى يقول ان العرب لم يعرفوا الملاحم ..

* * *